محاسن التعبير القرآني في فن التعريض البلاغي

(دراسة بلاغية تحليلية)

Beauties of Quranic expressing in the rhetorical exposure (Rhetorical and analytical study)

DOI: 10.5281/zenodo.8215570

[1]*Dr. Muhammad Shuaib Yousaf*
[2]*Dr. Fahmeeda bibi*
[3]*Dr.Abdul Rehman yousaf khan*

Abstract

Arabic rhetoric and its uses of various styles for religious purposes: the styles of exposure (التعريض) as an example in the holy Quran. The Quranic expressing and its study cannot be understated for the correct understanding of the religion of Islam except this terms.

Some scholars of Islam have even gone as far as to label the studying of the Arabic language as wajib – or even fardh. Furthermore, the understanding of the style of the Qur'anic elucidation and the subtleties of the treasures of Qur'anic knowledge too are dependent upon knowledge of the different fields of the Arabic language, so much so that it would be completely appropriate to say that they are to a large extent interconnected.

Since the beginning the study of Arabic language has been held in high esteem from both Muslims and non-Muslims alike – its study uniting both groups from various tribes and lands with common respect. This was never just restricted to language, rather it encompassed an entire culture.

In this research paper, I have discussed the majestic beauty of the use of various styles of exposure (التعريض) and its purposes with examples from various Ayahs of the holy Qur'an where mentioned expounded upon how the knowledge of rhetoric is helps in understanding in the Qur'an expressing.

Key Words: *rhetoric, Qur'an, expressing, exposure, fardh, wajib*

تعريف التعريض:

التعريض أن يكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشي[1]

قال شرف الدين الحسين: "هواللفظ المشار به على جانب بحيث يوهم أن الغرض جانب آخر، وبين الكناية

[1]*Postdoctoral fellow IRI,IIU Islamabad, theology teacher GMS kalu khan.*
[2] *Assistant professor department of Arabic and Islamic studies university of Swabi, Swabi*
[3] *Assistant Professor department of Arabic Federal Urdu University, Karachi*

والتعريض عموم وخصوص من وجه، فقد يكون كناية ولا يكون تعريضا كقولك: فلان طويل النجاد، وبالعكس، كقولك في عرض من يؤذيك لغير المؤذي: آذيتني فستعرف" [2] التعريض عند الرسول ﷺ إذا أراد التعريض بشخص والإنكار عليه كان يقول :ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا[3]."

التعريض أولى من التصريح:

والعرب تستعمله في كلامها كثيرا، فتبلغ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح، ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف في كل شيء ويقولون، وقد جعله الله في خطبة النساء في عدتهن جائزا فقال: "ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم"[4] ولم يجز التصريح. وهو أن يقول الرجل للمرأة: "والله إنك لجميلة، ولعل الله أن يرزقك بعلا صالحا، وإن النساء لمن حاجتي، هذا وأشباهه من الكلام".

وروي في بعض الحديث: أن رجلا كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من مغزى كان فيه

ألا أبلغ أبا حفص رسولا ... فدى لك– من أخي ثقة– إزاري

قلائصنا هداك الله إنا ... شغلنا عنكم زمن الحصار

فما قلص وجدن معقلات ... قفا سلع بمختلف النجار

يعقلهن جعد شيظمي ... وبئس معقل الذود الظؤار

الأغراض البلاغية لاستخدام التعريض:

قد يتحقق باستخدام التعريض أغراض بلاغيةٌ تشبه الأغراض البلاغيَّة التي تتحقق باستخدام الكناية فيه مزيد إخفاء يجعله أكثر قولا حينما يكون التصريح مثيرا لغضبٍ، أو نقد، أو اتِّهام، أو عَذْل وتَلْوِيم، أو يكشف أمرا يجب سترُه عن الرقباء، فيقوم التعريض مقام الإلغاز والرَّمْزِ الخفيّ، وما يُسمَّى في اصطلاح الجيوش "الشيفرة"[5]

وقد جاء في القرآن التعريض فمن الآيات التي وجدنا فيها التعريض هي:

ما أخبر الله سبحانه وتعالى من نبإ الخصم فقال: **وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ**[6] إنما هو مثل ضربه الله سبحانه له، ونبهه على خطيئته به.ووري عن النساء بذكر النعاج، كما كنى الشاعر عن جارية بشاة، وكنى الآخر عن النساء بالقلص.

ومنها ما قال الله تعالى: قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا 7 **وروى المنهال، عن** سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قول الله سبحانه، حكاية عن موسى عليه السلام قال: "لا تؤاخذني بما

نسيت"لم ينس ولكنها من معاريض الكلام.أراد ابن عباس أنه لم يقل: إني نسيت فيكون كاذبا، ولكنه قال: "لا تؤاخذني بما نسيت"، فأوهمه النسيان، ولم ينس ولم يكذب.ولهذا قيل: إن في المعاريض عن الكذب لمندوحة[8] .

ومنه قول إبراهيم عليه السلام فقال تعالى: **فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ٨٩ فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ** [9]، أي سأسقم، لأن من كتب عليه الموت، فلا بد من أن يسقم.فأوهمهم إبراهيم بمعاريض الكلام أنه سقيم عليل، ولم يكن عليلا سقيما، ولا كاذبا، وكذلك ما روي في الحديث من قوله حين خاف على نفسه وامرأته: "إنما أختي" لأن بني آدم يرجعون إلى أبوين، فهم إخوة، ولأن المؤمنين إخوة، لما قال الله عز وجل:"إنما المؤمنون إخوة"[10]، وكذلك قوله: "قال بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم إن كانوا ينطقون".[11] ، أراد: بل فعله الكبير، إن كانوا ينطقون فسئلوهم، فجعل النطق شرطا للفعل، أي إن كانوا ينطقون فقد فعله، وهو لا يعقل ولا ينطق. ومنها قول الله عز وجل: وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ [12] في الآية الكريمة التعريض هو أن يرى من نفسه الرغبة فيما يكنى به من الكلام، على ما ذكر في الخبر: أن فاطمة بنت قيس لما استشارت رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ – فقال لها: " إذا انقضت عدتك فآذنيني، فاستأذنته في رجلين كانا خطباها، فقال لها: أما فلان فإنه لا يرفع العصا عن عاتقه، وأما فلان فإنه صعلوك لا شيء له؛ فعليك بأسامة بن زيد ". فكان قوله عليه السلام: " فآذنيني " كناية خطاب إلى أن أشار على أسامة، دون ما ذكره أهل التأويل: " إنك لجميلة "،و" إنك لتعجبيني "، و " ما أجاوز إلى غيرك "، أو " إنك لنافعة "، ومثل هذا لا يحل أن يشافه لامرأة أجنبية لا يحل له نكاحها. وفي الآية دلالة أن لا بأس للمتوفى عنها زوجها الخروج بالنهار لما ذكر من التعريض، لأن الرجل لا يأتيها منزلها فيعرض لها، ولكن المرأة قد تخرج من منزلها فتصير في مكان احتمال التعريض، فعند ذلك يقول لها ما ذكرنا. وعلى ذلك جاءت الآثار؛ رُويَ عن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ –: " أن امرأة مات زوجها، فأتته، فاستأذنته للاكتحال، لم يأت أنه نهاها عن الخروج ". وما رُويَ عن عمر، وابن مسعود، رضيَ اللَّهُ تعالى عنهما، بالإذن لهن بالخروج بالنهار، والنهي عن البيتوتة في غير منزلهن. ولأن المتوفى عنها زوجها مؤنتها على نفسها، فلا بد لها من الخروج. وأما المطلقة فإن مؤنتها على زوجها، والزوج هو الذي يكفي مؤنتها ويزيح علتها؛ لذلك افترقا. والله أعلم.

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ[13]

حدثنا أحمد بن حماد الدولابي ويونس قالا حدثنا سفيان، عن ابن طاوس، عن أبيه، قال: سألت ابن عباس عن الرفث في قول الله:" فلا رفث ولا فسوق" قال: هو التعريض بذكر الجماع، وهي"العرابة" من كلام

العرب، وهو أدنى الرفث[14]

ومنها في قوله تعالى: وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ [15] التعريض بكذبهم، وبطلان دعواهم في قوله: وفي الية يوجد أيضا: الإيجاز بالحذف؛ لأنّه حذف فيه جواب الشرط؛ لعلمه من السابق؛ فالتقدير:" إن كنتم صادقين في دعواكم، فهاتوا برهانكم".

ومنها في قوله تعالى: وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ [16] التعريض للمنهزمين عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – يوم أحد ما لا يخفى، ذكره، قال في تفسير حدائق الروح والريحان: "أن هؤلاء الربّيين لم يكن لهم من قول عند اشتداد الخطوب، ونزول الكوارث إلا الدعاء، لربهم بأن يغفر لهم بجهادهم، ما كانوا ألموا به من الذنوب، وتجاوزوا حدود الشرائع، وأن يثبت أقدامهم على الصراط القويم، الذي هداهم إليه حتى لا تزحزحهم الفتن، ولا يعروهم الفشل، والوهن حين مقابلة الأعداء، وأن ينصرهم على القوم الكافرين الذين يجحدون الآيات، ويعتدون على أهل الحق، فلا يمكنونهم من إقامة ميزان القسط، فما النصر إلا من عند الله يؤتيه من يشاء بمقتضى السنن التي هدى إليها خلقه، وألهمها عباده"[17]

"وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا" في مواطن الحرب بالتقوية والتأييد من عندك أو بإزالة الخوف من القلوب وإزالة الخواطر الفاسدة من الصدور أو ثبتنا على دينك الحق "وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" بالمصابرة والمجاهدة، فإن الدعاء، المقرون بالخضوع الصادر عن ذكاء وطهارة أقرب إلى الاستجابة.

ومنها: التعريض في قوله: إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ [18] ،في بطونهم عرض بذكر البطون لخستهم، وسقوط هممهم، والعرب تذم بذلك قال شاعرهم: دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

ومنها: التعريض في قوله: إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا [19] ، عرض بذلك إلى ذم الكبر المؤدي إلى احتقار الناس وإهانتهم.[20]

ومنها: التعريض في قوله: أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا [21] ، عرض بشدة بخلهم.

ومنها: التعريض والتهكم في قوله: وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا [22] "قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله" إذا قلنا: إنه عن كلامهم، قالوه على سبيل التهكم والاستهزاء؛ لأنهم لا يؤمنون برسالته.

ومنها: التعريض في قوله: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ[23]"يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم" فإن فيه تعريضا بذم المنافقين فإنهم كانوا إذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا أولياءهم اليهود، فلا يكادون يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم، وفي تنكير لومة ولائم مبالغة لا تخفى, لأن اللومة المرة من اللوم.[24]

ومنها: التعريض في قوله تعالى: وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ [25] "وإنا لصادقون" لأنه يتضمن التعريض بكذبهم في قولهم ما حرم الله علينا، وإنما اقتدينا بإسرائيل فيما حرم على نفسه، ويتضمن إدحاض قولهم ورده عليهم.[26]

ومنها: التعريض في قوله: وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ [27] "ومن يولهم يومئذ دبره" حيث عدل عن ذكر الظهر إلى الدبر تعريضا بسوء حالهم، وقبح فعالهم، وخساسة منزلتهم، بذكر ما يستهجن ذكره، وهو الدبر، وبعض البيانيين يسمي هذا بالإيماء، وبعضهم بالكناية، وهذا ليس بشيء فإن الكناية أن تصرح باللفظ الجميل على المعنى القبيح. ذكره في التحرير.

ومنها: التعريض في قوله: وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ[28] :والسلام علي" إن قلنا إن الألف واللام فيه للجنس؛ لأن فيه تعريضا باللعنة على متهمي مريم وأعدائها من اليهود؛ لأن المعنى حينئذ وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بأن ضده عليكم ونظيره قوله تعالى: "والسلام على من اتبع الهدى"

ومنها: التعريض في قوله: قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ [29] "فاسألوهم إن كانوا ينطقون" أراد إبراهيم عليه السلام، أن يبين لهم، أن من لا يعلم، ليس بمستحق للعبادة، فأخرج الكلام مخرج التعريض لهم، بما يوقعهم في الاعتراف، بأن الجمادات التي عبدوها، ليست بآلهة؛ لأنهم إذا قالوا: لا ينطقون، قال لهم: فكيف تعبدون من يعجز عن النطق، ويقصر عن أن يعلم بما يقع عنده في المكان، الذي هو فيه، فهذا الكلام من فرض الباطل مع الخصم، حتى تلزمه الحجة، ويعترف بالحق، فإن ذلك أقطع لشبهته، وأدفع لمكابرته.[30]

الحواشي

[1]– الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)المكتبة العنصرية – بيروت،ص:368

Al-Sanatain,Abu Hilal al Askari,Al Maktabat ul Unsuria-bairut,p:368

[2] – فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣ هـ) جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ ،427:3

Futooh al ghaib fi al kashf an qenat al Raib, Sharaf al din al tayebi,3:427

[3]– الفوز الكبير في أصول التفسير، الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» (ت ١١٧٦هـ)دار الصحوة – القاهرة، الطبعة: الثانية – ١٤٠٧ هـ ،ص:134

Al fawz al kabir fi Usool al tafsir ,Imam shah Wli Ullah al dihlawi,Dar al sahwah,Qairo,edition 2nd,1407,p:134

[4]البقرة:235

Al Baqara:235

[5] البلاغة العربية عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميدانيو154:2

Al Blaghat al Arabia abduraham ibne hasan,2:154

[6]النمل:87

Al Namal:87

[7]الكهف:73

Al Kahaf:73

[8]البيت من الكامل، وهو لعنترة في ديوانه ص 213،

Diqan antara:213

[9]الصافات:89-91

Saafaat:89-91

[10]الحجرات:10

Al Hujorat:10

[11]الانبياء:63

Al Anbia:63

[12]البقرة:235

Al Baqara:235

[13]البقرة:197

Al Baqarah:197

[14]– جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ)، دار التربية والتراث – مكة المكرمة ، الطبعة: بدون تاريخ نشر،4:125

Jameul Quran an Taveel Aayat al Quran,Abu Jaafer Muhammad ben Jarir al Tabari,Dar al Tarbiat wa al Turaas, Makhat al Mukarama,p:4:125

[15]البقرة:23

Al Baqara:23

[16]البقرة:250

Al Baqarah:250

[17]تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن,الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله ،169:5

Tafsir Hadayeq al Rowh wa al rehaan,Muhammad al amin ben Abdullah,5:169

[18]البقرة:174

Al Baqarah:174

[19]النساء:36

Al Nessa:36

[20] تفسير حدائق الروح والريحان:6:114

Tafsir Hadayeq al Rowh wa al rehaan,Muhammad al amin ben Abdullah,6:114

[21]النساء:53

Al Nessa:53

[22]النساء:157

Al Nessa:157

[23]المائدة:54

[24] تفسير حدائق الروح والريحان:378:7

Tafsir hadayeq al rawh wa al rehan:7:378

[25]الانعام:146

Al anam:146

[26] تفسير حدائق الروح والريحان: 157:9

Tafsir hadayeq al rawh wa al rehan:9:157

[27]الانفال:16

Al anfal:16

[28]مريم:33

Maryam:33

[29]الانبياء:63

Al anbia:32

[30] تفسير حدائق الروح والريحان: 163:18

Tafsir hadayeq al rawh wa al rehan:18:163